مقابلة

حاورته
ضحى شمس

لأنّ الناس ينتظرون منه أكثر من أغنية، لأنه طبع وعينا ببصمته غير العادية، فإن زياد الرحباني بدا لمحبّيه شديد الغياب أخيراً. وما زاد الإحساس بفراغ مكانه في حياتنا العامة، مناخ التوتر المشغول عليه بعناية، ليبقى على حافة الانفجار. مع ذلك، واظب المواطن زياد الرحباني، على الاختفاء. تعب مثلنا؟ مرهق من هذا التكرار الحزين لتاريخنا المشترك؟ أين زياد؟ تكاد مقطوعة «طيران الشرق الأوسط» من ألبومه «إيه في أمل» أن تكون الموسيقى التصويرية لحركته: مصر، أبو ظبي، مشاريع للشام، كأنه يدور حولنا، يماطل في العودة إلينا. أما حين عاد إلى حفل بيت الدين، فقد اعتذر قبل أسبوع، بتقرير طبي، بسبب إرهاق آتٍ من «هنا»، كما يضيف في هذه المقابلة، مشيراً إلى رأسه

زياد الرحباني

أزمة منتصف العمر؟ هيدي بعملها كل يومين تلاتة

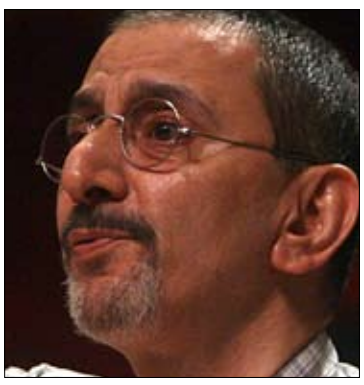

■ في مقابلة، مباشرة قبل «صحّ النوم» في بيال عام 2006، وردّاً على سؤال: ما العمل؟ أجبت «العمل الدؤوب واليومي، نوع من التمرين الذهني والجسدي لزيادة طاقة التحمُّل». لكن، يبدو أن طاقتك على التحمّل، تحمّل البلد طبعاً، تخفّ بنحو ملحوظ.

- زياد الرحباني (مقاطعاً) إيه... صحيح.

■ منذ «الهروب الخليجي» الأول لستة أشهر، إلى إلغاء بيت الدين، إلى الاختفاء عن الشاشة العامة بكل فروعك. واليوم، مجدداً إلى الخليج؟ ما هذا؟ لن تتحمل حرباً جديدة؟

- لا أبداً. لا علاقة للقصة بحرب جديدة، لأن الحرب على سيئاتها، وعلاقات الناس فيها، أوضح من هذه الأيام التي اسمها «سلم». ففي الحرب تتحدد النشاطات، تتحدد المشاريع... لا ليست القصة «عدم تحمّل حرب جديدة» بقدر ما هي عدم تحمّل لهذا النمط من العلاقات التي نعيشها بعضنا مع بعض كناس. لم تعد المشكلة «مين إجا بالحكومة، ومين طلع نايب»، هذه مشكلة أكيد، لكن المشكلة أنك حتى لو استوردْت وزراء ونواباً، من البلد الذي تريدين، اختاريه من الناجحين (يضحك) و«شغيلة وعندهم شفافية»... كيف تريدين أن يتجاوب الناس معهم؟ الناس لم يعودوا معتادين على القاعدة، ولا على القانون، رغم المطالبة به. «إنّو وينيّة الدولة؟ وين القاعدة؟ (شخصية ترمز إلى القوانين في مسرحية لولا فسحة الأمل) وين بوليس السير؟ وين الإشارات؟ وين الكهربا؟ وين الماي؟ كل هذا صحيح، لكن، أين كنت أنت، كل هذا الوقت، مثلاً؟ منذ متى وأنت تقول هذا الكلام؟ «أفظع شيء أن تسمعي أحدهم يقول لك: ما بقى فيني إتحمَّل». وأنت تراه منذ 15 سنة يقول ذلك وباللهجة نفسها. إذاً، كيف مرّت السنوات الخمس عشرة الأخيرة؟ كان «مش عم يتحمّل والله كان عم يتحمّل؟»».

■ هذا يجعلك تهرب إلى الخليج؟

- ليس هروباً إلى الخليج، مجرد... كيف أقول؟ نَفَسْ؟ «إنو بيسْوا واحد يعطوه مأذونية كل 30 ـ 35 سنة؟»، أن تأخذي نَفَساً من هذه الكمية من الكذب اليومي الذي دخلنا فيه كلّنا لنمشي حالنا. هناك نسبة قصص عليك قولها، ليمشي الحال. إذا كان أحدهم «مسكّر عليكي» بسيارته، وقد دخل محلاً لشراء شيء ما، إذا دلوك عليه فدخلت وراءه المحل، يجب أن تقولي له إنك مستعجلة ولو لم تكوني مستعجلة. لا يمكن أن تنتظريه «تتشوفي شو عم يشتري (يضحك) إذا الدوا بينفعو... بمعنى أنه عندما ينتهي سيخرج ويزيح سيارته من طريقك. عموماً، تريدين الخروج، فطبيعي إذاً أن تكذبي. لِمَ؟ لأنه بالأساس هو المخطئ. يعني بتطلع واحدة بواحدة. يعني: عين بعين.

■ بعد حرب تموز كنت بحالة فوران وتفاؤل عارم، وإذا تدريجاً انزلقتَ بهدوء إلى مرحلة سكوت. هل أصابك تسارُع الأحداث بعسر هضم، فنياً خاصة؟

- بتعرفي، ولا مرة فكّرت فنياً في الوضع. أكثر مرة فكرت في الوضع عندما كنا بالجريدة. تحسّين أنّ من غير الضروري التعاطي فورياً مع أي شيء يحصل، إلا إذا أردت أن تري شيئاً مثل «شو عم يركّبوا تبع اللي بيصير اسمن كلن: مدرسة الساعة العاشرة». يتحول الأمر إلى حفلة تقليد شخصيات سياسية، مع إمرار اسم القرار 1559 والقرار 1701، بإطار «فوفاشي». وانتبهي: أخيراً فقط بدأت المحكمة الدولية تصير شأناً عاماً. كانت شأناً خاصاً اسمها المحكمة الخاصة بالرئيس رفيق الحريري، اليوم... ربما أخذت بقصة الأمس (العيادة) انطلاقة جديدة.

■ كيف؟

- يقولون إن هناك «مدّ وعلّ» حتى آذار... هذا إذا لم يصدر مجلس الأمن قراراً لإدانة ما حصل هنا. هناك سؤال حشري، ليت المواطن يسأله لنفسه: أولاً أنا لا أصدق أن حزب الله قتل رفيق الحريري، فلا غاية لديه من قتله إطلاقاً. وحزب الله منذ عام 2000 وأنا أحسّ أنه يريد «السترة بالمجتمع». وأثبت بسياسته أن هناك حكمة. فمؤكد لا يرتكبون أغلاطاً بهذا الحجم. واحد، عدا عن ذلك: بمَ سيستفيدون من قتله؟ لكن السؤال الذي يليه فوراً هو: لماذا يصرّ بلد مثل أميركا، لهذه الدرجة، على أن تستمر المحكمة؟ بلد تعاطى مع اغتيال الحريري بشويّة برود؟ لمَ هم مصرّون على أنه لا أحد يوقف المحكمة. ولِمَ؟ وهم من أكثر الناس ضد المحاكم الدولية؟ «إنو ليش مصرّين هالقدّ إنو: أوعا حدا يعرقلها أو أوعا حدا يوقفها؟ مصرّين أكثر من جزء من اللبنانيّين؟ لأ. هذا يقول إنهم يريدون شيئاً منها، وليس إنهم يريدون معرفة من قتل الحريري. مؤكد أن الأميركان غير مهتمين بمعرفة من قتل رفيق الحريري. لكن، هناك شيء «يخصّهم» بالموضوع. «ع البساطة يعني. في شي بيخصّن، إنو تكمل المحكمة الدولية وتتسارع وما حدا يوقّف لها أعمالها».

> **لا تستطيع المقاومة أن تكون أقوى من اللبنانيين**
>
> **أخيراً فقط بدأت المحكمة الدولية تصير شأناً عاماً**
>
> **ربما أخذت المحكمة الدولية انطلاقة جديدة بقصة العيادة**
>
> **ربما تحججوا بقصة العيادة لإصدار قرار دولي جديد**

■ بعد حرب تموز كنت دقيقاً بتوصيفك لإنجاز المقاومة قلت: هذا اسمه صمود غير متوقع.

- وقلت لك ذكّرني بشعور أول الحرب اللبنانية. الشعور بالاندفاع الذي كنا نشعر به بالأول، قبل حرب السنتين.

■ اليوم عندما نراجع أداء الحزب داخلياً، ما هو تقويمك للمقاومة؟ لا يزال هو نفسه؟

- مهما كان حزب الله حذراً في خطواته، وحكيماً في قراراته، ومهما كان يجرّب «يفوت بالحكومة وبالمجلس النيابي»، تحصل حوادث صغيرة يقولون لك هذا جمهور المقاومة وليس المقاومة ـ مع الوقت، كلهم: مسؤولين وجمهوراً، سيحتكَون بباقي اللبنانيين. ولا يستطيعون أن يكونوا أقوى من اللبنانيين. اللبنانيون مجموعون على عادات حميدة، تاريخية ومؤصلة، عرفت كيف؟ لا يستطيعون تفاديها. ابتداءً من الفيسبايات الصغيرة، وصولاً إلى «منكسّرلو أزاز السيارة»... والوقت يفضح.

■ قصدك ما داموا «بارمين» إلى الداخل فهم يخسرون؟

- إيه طبعاً. عندما كان همّهم الجنوب ـ ولا يعني هذا أننا نتمنى لهم كل يوم عدواناً كعدوان تموز ـ لكن حين كانوا هناك، كانوا «بغير وارد» (يولّع سيكارة، ثم يتابع مقطّباً) هناك كمية أشياء تبدأ بكلمة «اللعبة»: اللعبة السياسية، اللعبة البرلمانية، اللعبة الديموقراطية... خلص، بمجرد أن توافقي بعنصر واحد على شيء فيه لعب، شطارة ولعب، يصبحون مضطرّين إلى الشطارة واللعب، بالمعنى اللبناني الرديء. بمعنى: توفّقت فيه قبل ما يتوفّق فيّ. و«توفقت فيه» فيها جزء بلا أخلاق، وهم عنوانهم الأخلاق. لكني أقول إنهم باحتكاكهم باللبنانيين، ومع تراكم الوقت، لا أعرف. في النهاية لن يستطيعوا أن يحجروا على الناس لئلا يختلطوا بها المجتمع...

■ نحكي عن اثنين: المقاومة وجمهورها؟

- نحكي لأننا كنا «مميزينهم». كذا مرة سألت أسئلة من نوع: أين رُبّي هؤلاء الناس، إيجابياً يعني، كنت أتمنى أن تبقى هذه الصورة عندي عن الكوادر وعن المقاومين، بس...

■ تحولت هذه الصورة؟

- تحولت بقصص داخلية كما قلتِ. لم يكن الحزب يستطيع ألا يدخل فيها.

■ ولا يستطيع إلا أن يأخذ هذه القرارات...

- ولم يكن يستطيع إلا أن يدخل بالحكومة، وإلا «بيصير مزبوط حزب إرهابي»! لا شك أن وجوده بالحكومة مربك لكثير من السياسيين الذين يأتون إلى البلد، من حيث يضطرهم إلى التعاطي معه، مثلاً سياسي يجب أن يجتمع مع وزير الزراعة، وهو من حزب الله. يقيسونها بهذا المقياس. بقيت المقاومة لفترة لا تريد الدخول إلى الحكومة.

■ وبرأيك إنهم ذاهبون إلى مزيد من اللبننة بالمعنى السيّئ للكلمة؟

- كل شيء يعود للوضع الأمني العام، الوضع الإسرائيلي... إذا استقر وضع البلد فقط على بعض المناكفات، وعلى «جو» ممكن أن ينقلب «سنّي شيعي»، أين سيذهبون بكل هؤلاء الناس؟ عندما نفكر شيعياً، نجد أنها صعبة كتير. لأن هذا الجمهور أيضاً يحسّ بأنه مستهدف بسبب انتمائه ودعمه للمقاومة. هذه أصبحت راسخة عند الناس، عند جمهور حزب الله. فعندو استعداد إنو : إيه، في شي ضدي عم يتحضّر. ضدي يعني ضد الشيعة.

■ عودتك إلى الخليج نوع من تقويم لمستقبل الوضع الداخلي؟

- لأ. أبداً. صدقيني الأشغال هنا «مش مقتّلة بعضها». قلت لنفسي عندي عقد عمل لشهر، عزف في أحد المحلات بالليل، ليس حفلة أو مشروع على مسرح... كان